المحاضرة 2 : مسار البلاغة في الثقافة العربية والإسلامية .

مقدمة:

ازدهرت البلاغة في الحضارة العربية والإسلامية ، وقبل ذلك عند العرب في الجاهلية ، حيث برع العرب في صناعتها ، ثم تطورت وازدهرت شيئا فشيئا.

تطور علم البلاغة العربية: -

أشار ابن خلدون في العِبر إلى أنّ البدايات التي شهدها أهل المشرق لتطوير علم البلاغة كانت عندما كتب (جعفر بن يحيى) كتابه (نقد الشِّعر)، وكان قد تحدّث فيه عن علم البلاغة، ثمّ تلاه (الجاحظ)، وهو المُلقّب بـ"زعيم البيان العربيّ" -على حدِّ قول عبد العزيز عرفة- في كتابه تاريخ نشاة البلاغة العربيّة وتطوّرها،كما نَسَبَ الأديبُ طه حسين تأسيس علم البيان العربيّ له، ومُشيراً بذلك إلى كتابه الضّخم (البيان والتّبيين)، الذي استطاع فيه أن يصف العرب وحالتهم مع البيان العربيّ في فترة القرن الثّاني، مع نصف القرن الثّالث الهجريّ، ليُعطي بذلك صُوراً مُتكاملة عن نشأة البيان العربيّ من والجدير بالذّكر أنّ ابن خلدون ذكر في كتابه العِبر أنّه وُجِدَ بعد جعفر، والجاحظ العديد من العلماء الذين كتبوا مجموعة من المُلاحظات حول علم البلاغة، ثمّ بدأت آفاق الفنّ تظهر في هذا العلم شيئاً فشيئاً، حتّى أتى (السّكاسكيّ) والذي اعتُبِر ثالث المُؤسّسين لعلم البلاغة، بعد (عبد القاهر الجرجانيّ، والزّمخشريّ)؛ لِما قام به من تهذيب للمسائل المُتعلّقة فيه، مع قيامه بترتيب أبوابه، لدرجة جعلت منه كتاباً لا يَنقصه شيء، فلا يحتاج إلى زيادات بعده، فما كان لمن أتى بعده من عُلماء إلّا أن يدور كلامهم حول ما كتب وصنّف السّكاسكيّ. فكان كتاب السّكاسكيّ مفتاح العُلوم مرجعاً للعُلماء المُتأخّرين من بعده، ومن الشُّروحات التي أخذت منه كتاب التّبيان، لصاحبه الزّملكانيّ، كتاب المصباح لصاحبه ابن مالك. كتاب الإيضاح والتّلخيص لصاحبه جلال الدِّين القزوينيّ. كتاب المُطوّل، لصاحبه سعد الدِّين التّفتازانيّ. كتاب الطّراز، لصاحبه يحيى العلويّ.

نشأة علم البلاغة عند المغاربة :

كانت عناية المغاربة بعلم البلاغة -كما ذكر ابن خلدون في العِبر- مُختصّة بعلم البديع، الذي هو أحد أجزاء عِلم البلاغة، كما حرصوا على إدخاله في الأدب الشِّعريّ، وإيجاد فروع وأبواب له، ممّا جعلهم يرون أنّهم أحصوها جميعاً، ومن الجدير بالذِّكر أنّ اهتمامهم بزخرفة المُفردات، واستسهالهم عِلم البديع هو ما جعلهم يميلون إليه، وهذا رأي بن خلدون، فهو يرى أنّهم ابتعدوا عن صُنوف البلاغة الأخرى؛ لما فيه من دقّة، وغُموض، ولم يكتفِ ابن خلدون بذلك، فذكر أمثلة يُعلِّل فيها سبب توجّه المغاربة إلى علم البديع دون عِلميّ المعاني والبيان، ويذكرُ المُؤلّفين ومنهم (ابن رشيق القيروانيّ) صاحب كتاب (العمدة في علوم البلاغة)، ومُشيراً إلى أنّ أهل المغرب والأندلُس أخذوا من هذا الكتاب.

العلاقة بين البلاغة والإتصال :

في قراءة للدرس البلاغي القديم على ضوء البلاغة الحديثة يذهب الدكتور تمام حسان إلى تحديد العلاقة بين البلاغة والإتصال من خلال المعنى اللغوي للفظ االبلاغة ، حيث أن البلاغة فرع عن معنى الإبلاغ

أو التوصل وهو موضوع من موضوعات علم الإتصال، ولو رجعنا إلى النموذج الذي وضعه ججاكبسونلأركان عملية الإتصال لجاز لنا فهم ما المقصود من البلاغة ، وحسب مخطط جاكبسون نجد السياق ، الرسالة ، المتكلم ، قناة الإتصال ، السامع ، الشيفرة . فالسياق هو المقام ، وقناة الإتصال هي المشافهة ، والشفرة هي المعنى المقصود .

وهكذا يمكن تحديد البلاغة بأنها عمل المتكلم على إيصال الشيفرة إلى السامع ، بواسطة رسالة منطوقة خلال عملية الإتصال مسموعة في مقام معين ، يضاف إلى ذلك جهد السامع في حل الشيفرة.

لقد ربط الدارسون بين البلاغة العربية والإتجاهات النقدية واللسانية والإجتماعيةالمعاصرة ، التي تتعامل مع اللغة بوصفها أداة إتصال، فالبلاغيون العرب لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية والآخلاقية للمتلقي و للمرسل ، وإنما درسوا المقام والحال وجعلوه أساسا في دراسة البلاغة العربية ، والذي يعني العلاقة بين الخطيب والمستمع ، وماينبغي أن يكون عليه الخطيب ، ومراعاته لأحوال المستمعين .